البعد البحري للصراع العربي ـ الاسرائيلي

د. اسامة الغزالي حرب

في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٢، وبمناسبة التوقيع على اتفاقية الامم المتحدة لقانون البحار، في منتيجو باي، في جامايكا، كانت اربع عشرة دولة عربية تشارك في ذلك التوقيع ضمن وفود الدول الـ ١١٧ التي شهدت تلك المناسبة الهامة، ثم ما لبث ان وصل عدد الدول العربية الموقعة الى ١٩ دولة، فضلاً عن توقيع منظمة التحرير الفلسطينية على «البيان الختامي» لمؤتمر الامم المتحدة لقانون البحار (انظر الجدول الرقم ١). وفي المقابل، فان اسرائيل، لم توقع على الاتفاقية، بل كانت، على العكس، في صف المعارضين لها. وقبل ذلك، عندما عرض النص النهائي للتصويت، في ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٨٢، كانت اسرائيل، مع الولايات المتحدة الاميركية وتركيا وفنزويلا، هي فقط الدول الاربع التي ابدت اعتراضها على النص المقترح في مواجهة ١٣٠ دولة موافقة و ١٧ ممتنعة عن التصويت؛ وبذلك حُرم المؤتمر من امل كان يداعبه منذ البداية، أي التوصل الى اتفاقية بالاجماع.

هذا التباين الشديد بين موقف الدول العربية، من ناحية، وموقف اسرائيل، من ناحية اخرى، ازاء قانون البحار الجديد، لم يأت مصادفة على الاطلاق. فهو، في الواقع، يعكس عمق التناقض في المصالح بين الطرفين، وحقيقة الصراع السافر والمستتر بينهما. انه صراع مصيري ينطوي على «رفض للجانب الآخر، وتهديد للامن القومي المرتبط بذلك الجانب»[١]. ومن هذا المنطلق، فان البعد البحري للصراع العربي ـ الاسرائيلي، انما يرتبط بخصائص هذا الصراع ويعبر عنها.

فالصراع العربي ـ الاسرائيلي، اولاً، صراع شامل. هو صراع حول الارض والموارد مثلما هو صراع حول التاريخ والهوية. ومن هذا المنظور، فان البحر يغدو موضوعاً للصراع، شأنه شأن الارض، والماء، والطاقة، في الاقليم الواحد الذي يجمع العرب واسرائيل معاً.

والصراع العربي ـ الاسرائيلي، ثانياً، صراع تمتد ساحته المكانية لتتجاوز بكثير نقاط التماس المباشرة بين اسرائيل وجاراتها؛ بل لقد افلحت اسرائيل في ان تجعل من حدودها مع الدول العربية المحيطة مناطق أمن اكثر منها مناطق خطر. ويعني هذا ليس فقط اتساع جبهة المواجهة بين الطرفين، ولكنه يعكس، ايضاً، ازدياد اهمية تلك النقاط البعيدة للمواجهة في الاراضي والاقاليم البعيدة في احيان كثيرة، عن المواجهة على الحدود المباشرة. في هذا السياق، يغدو البحر «ميداناً» للصراع، وساحة تتصارع فيها التوجهات الاقليمية الاستراتيجية لاسرائيل مع التوجهات العربية المناقضة.

والصراع العربي ـ الاسرائيلي، ثالثاً، صراع يجرى بالاشكال السياسية والدبلوماسية مثلما يجرى بالاشكال الاقتصادية والعسكرية، ومثلما يأخذ، ايضاً، أشكالاً ايديولوجية وثقافية. انه صراع تتضافر فيه القوة الفكرية مع القوة المادية، ويجرى بالكلمة والقلم مثلما يجرى بالمدفع والطائرة؛ ومن هذه الزاوية، فان البحر يتفرد بمنطقه وأدواته الصراعية. انه يفرض اشكالاً للصراع